اسطورة يونانية : « اورفيوس ويوريديس »

الألم

[مهداة إلى شاعر يتألم : إلى الصديق محمد القرائى]

للأستاذ خليل هنداوى

« أعيدوه الى أرض الحياة وحدثه ! إن عوده سيكت اذا عادت سمه ، وان قيثارة الأرض ستنفس وتراً ، انى أريده يغنى فلا تعطوها له . نحن فى السماء كما على الأرض نتلذذ بالآلام الوالدة »

قد أطرَبَ الطيرَ بأنغامه ... وسهَّدَ الوحشَ بألحانه
يغيبُ عن إحساسه ذاهلاً ... متنقلاً فى غير أوطانه
يشكو إلى القيثار أشجانَه ... فيملأُ الكونَ بأشجانه
سكرانُ ! لا يُدرك ما مسَّه ... نشوانُ ! لا يخرجُ من حانه

* * *

البحر والأمواجُ تصغى له ... والليلُ إن أسبلَ أستارَه
يأوى إلى عزلته حائراً ... يُذيعُ فى العزلة أسرارَه
ما بالُه يُعول قيثارُه ... فخطموا الليلةَ قيثارَه
هو الهوى امتدَّ إلى قلبه ... وأضرمَ الحبُّ به نارَه

* * *

وهذه من أيقظَتْ روحَه ... تسرَّحُ فى الغابة كالخاله
خاليةُ القلبِ ، تلاقى الفتى ... معرضةً عن حبِّه ، واجمه
لا تفهمُ اليومَ نداء الهوى ... لا توقظوها ! إنها نائمه
يا هائماً قد لجَّ منه الجوى ... إنهَدْ إلى غانيةٍ هائمه . . .

* * *

سيفتَحُ القيثارُ من نفسها ... ما تعجزُ الأزهارُ عن فتحه
ويفتحُ الألحانُ محزونُها ... جرحا بها أعمقَ من جرحه
وينقلُ النغمُ إلى سمعها ... ماراحَ يشكو الصبُّ من برحه
لا تُنزلى الرأفةَ فى قلبها ! ... فانما الإبداعُ فى نوحه . . .

* * *

طفا على الكون سكونُ الدجى ... وقد غفا غيرُ عيونِ الزهرْ
وخفَّ فى الأجواء عبقُ الشذا ... وناتِ الأكوانُ إلا القدَرْ
هبَّا إلى الرقص يُحيِّيهما ... فى صفحةِ المشرقِ ضوءُ القمر
من يُنبئُ الإلفين أن القضا ... مُبدِّلٌ صفوَهما بالكدر ؟

* * *

تسلَّل الصلُّ إلى جسمها ... بوخزةٍ من وَخَزاتِ المنونْ
فلم يكن فى عمرها فسحةٌ ... لخاطبَتْ محبوبَها بالسكونْ
يا ليلةً ضلَّتْ مسراتُها ! ... وما اهتدَتْ إلا عيونُ الشجونْ!
زَفوا عروسَ الموتِ يا ويلتا ! ... للموتِ، ماتُغنى فتاها الشئون(١)

* * *

استنطقَ القيثارَ لكنما ... قيثارُه المحزونُ لا يُسعدُ
سعى إلى وادى الردى ذاهلاً ... لكى يناجى روحَ من يعبُد
أصغى إليه الموتُ فى فترةٍ ... فجاءه يسألُ ما يقصدُ ؟
فقال : والقيثارُ فى شجوه ... لى عندكم محبوبةٌ ترقدُ

* * *

يأيها النادى إلى عالمٍ ! ... داخلُه المفقودُ لا يرجعُ
ليس شفيعٌ للذى جاءنا ... بمهجةٍ محزونةٍ يشفعُ
أجابَ عندى لكَ أغنيةٌ ... أنشدَها قلبى ، فهل تسمعُ ؟
ثم انبرى يَنفُثُ من حزنه ... ما تنهى حزناً له الأدمعُ

* * *

رقت له زوجُ الردى فانثنت ... تستعطفُ الموتَ على من نزلْ
قالت له : عطفاً على هائمٍ ... ليس له من بعدها من أملْ...
أرجع إليه من سَبَت عقله ... نوَّارةَ الوادى ، ونورَ المقل
قد أرعنَ الوادى برنانه ... ألم يُلن قلبك هذا الغزَلْ ؟

* * *

قال له الموتُ وقد راقَهُ ... ورق ، والقلبُ أسيرُ النغمْ
أخرج من الوادى، ولا تلتفت ! ... إنى معيدٌ خلقها من عَدَمْ
فطمَّ القيثارَ من بشره ... وخفَّ جذلانَ ، سريعَ القدمْ
يسبق من تسرى بأعراقها الروحُ وتهتزُّ اهتزازَ النَّسَمْ

* * *

مشى وئيداً مرهفاً سمعه ... لعله يُصغى إلى جرسها

(١) المراد بالشئون الدموع من قبيل المجاز المرسل

أصغى إلى الأزهار من حزنه ... أصغى ، فلم يسمع سوى همسها
الزهرُ والأعشابُ فى يقظةٍ ... كأنها تمشى إلى عرسها
أوقعُها ألينُ من وقعها ؟ ... أم حسُّها أرفقُ من حسِّها ؟

* * *

رنا إلى خلفُ على رقبةٍ ... وقد عراه الشكُّ من عودها
إن لم تعد حيةً فلأعد ! ... إنَّ الردى أهونُ من فقدها
فأبصرَ الفادةَ شفافةً ... كشعلةٍ تسطعُ من وقدها
ولمعةُ الأحلامِ فى عينها ... وجذوةُ الأشواقِ فى خدِّها

* * *

تقابلا ! لكنَّ صوتَ الردى ... صاحَ ، فخالَت كُتلةً من ترابْ
فلم يعانِقْ غير أحلامِه ... ولم يُشارِفْ غيرَ لمعِ السرابْ
وهاتفٍ صاح به : يا فتى ... عُدْ للهوى الباكى ، وعُدْ للعذابْ
واحمل بقايا العود ، لا تمتهلْ ... حرَّقتَها : ليس لها من إيابْ

* * *

غداً إذا آبَ وآلامُه ... هادئةٌ ، يسكُتُ قيثارُه
غذوه بالآلام لا ترأفوا ... ترِنُّ بالآلام أوتارُه
لا تقتلوا الأشجانَ فى نفسه ... تفيضُ بالأشجانِ أشعارُه
لولا الذى تسكُبُه يا ندى ! ... ماضحِكَتْ فى الروضِ أزهارُه

* * *

لنا بآلامِ الورى لذةٌ ... وبالنَّدَى يُشرِقُ لونُ الزهرْ
نريدُه يشدو لنا ، فليعدْ ! ... حليفُه الهمُّ وطولُ الضجرْ
نريده يشدو فلا تقطعوا ... من معزَفِ الألحانِ هذا الوترْ
قد يَطرَبُ اللهُ وأملاكُه ... لنكبةٍ تُنطِق قلبَ البشرْ

* * *

للأرضِ من قلب الفتى مزقةٌ ... ومزقةٌ يرفعها للسماءْ
فوزِّعِ القلبَ على أهلِه ... وامنحْ من الآلامِ معنى الهناءْ
خُلقتَ هتافاً فلا تبتئسْ ... هل نتاجُ الطيرِ إلا غناءْ ؟
إن تَبقَ منه بضعةٌ فلتكنْ ... هديةً مشكورةً للفناءْ . . .

دمشق — خليل هنداوى

ظمأ على ظمأ

بقلم فريد عين شوكة

ظمأ على ظمأ وليس لمهجتى ... ريٌّ سواك يَبُلُّ حرَّ ظمائى
يا مهد أحلامى ومُتعة خاطرى ... ومناط آمالى وفيض رجائى
أنت الحياة ولا أزيدك بعدها ... وصفا ، فذلك منتهى إيفائى
كم ذا تشعُّ بخاطرى فأغيب عن ... صحبى ولا أصغى إلى خلصائى
وأظل أسبح فى هواك وألتقى ... بك فى الخيال وأنت عنّى نائى
وأراجع العهد الحبيب المشتهَى ... فلعل فى ذكراه بعض عزائى
والصحب من حولى عيون تجتلى ... حالى وتلحظنى على استحياء
حتى إذا جمح الحنين ولج فى ... خلدى وألهب بالأسى أحشائى
مدُّوا إلىَّ عيونهم وتساءلوا ... عما يقول بشاشتى وصفائى
فأحار ثم أجيب غيرَ موفَّق ... مع وفرة الأعذار فى حوبائى
يا غائباً عن ناظرىّ وليس فى ... قلبى سواه يرِفُّ بين دمائى
كم أشتهى برح الضنى لتعودنى ... وأراك رأى العين فى جلسائى
يا مستريح البال من عبث الهوى ... لو كنت تعلم فى نواك شقائى
الفرقة الهوجاء قد رانت على ... كبدى فيا للفرقة الهوجاء
شتان ما بينى وبينك فى النوى ... كالبعد بين قرارتى وسمائى
ما أبعد الحالين ! أنت منعَّم ... غافى العيون على رضًى وهناء
تسعى لك الدنيا وتحتشد المنى ... للقاك كل صبيحة ومساء
وتعيش فى وادى الهوى متفيئاً ... أندى الظلال وأكرم الأفياء
وأنا ، وقاك الله من سَرَف الجوى ... وكفاك ما ألقى من الأعباء !
وأنا — كما تدرى — أهيم بمهمه ... قفر الجوانب موحش الأرجاء
حرَّانُ تلفحنى الهواجر باللظى ... حتى تذيب عزيمتى ومضائى
ظمآن أستسقى الغمام وإنه ... ليضن أن يهمى بقطرة ماء
حيران ما أرتاح لحظ بصيرة ... حتى أعاف إقامتى وثوائى
والوعة المهجور فى وادى النوى ... مما يساوره من البرحاء
يا جنة السلوان ، تاهت عزمتى ... من فادح الذكرى وخلو بنائى
فتى أفىء إلى ذراك وأستقى ... بَرْد العزاء ونشوة التأساء

فريد عين شوكة